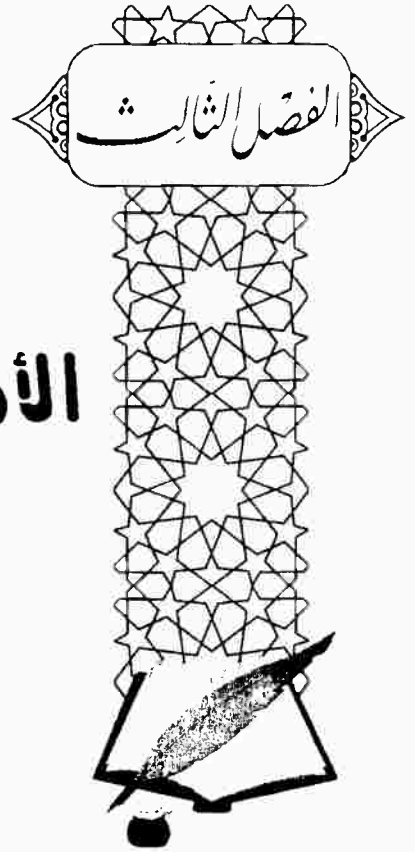




الأماكن التي ارتبطت بحياة الأنبياء

الفصل الثالث

الأماكن التي ارتبطت بحياة الأنبياء

فى هذا الفصل الجديد سوف نعالج سوياً وأيضاً ومن خلال مصاحبتنا لكتاب الله العزيز أماكن أخرى مشهورة جاء ذكرها فى القرآن الكريم. هذه الأماكن ارتبطت بحق، بمسيرة حياة أنبياء الله الكرام منذ آدم عليه السلام وحتى محمد عليه الصلاة والسلام، كما ارتبطت فى الوقت نفسه بالرسالات السماوية التى جاءوا لينشرونها من أجل عبادة رب العالمين ونبذ عبادة ما دونه من الحجر أو البشر أو الشجر.

وربما تكون تلك هى المحاولة الأولى من نوعها التى يخصص فيها مؤلف وضمن كتاب كبير بيان لهذه الأماكن التى ارتبطت بهؤلاء الأنبياء وأهميتهما وما طرأ عليها من تغيرات وما إثير بشأنها فى كتاب الله العزيز.

ولا شك أنها جميعاً أماكن طاهرة مباركة، شهدت أحداثاً متنوعة سواء فى حياة هذا النبى أو ذاك أو حتى فى دعوته إلى الله.

وكما نعرف جميعاً فإن الله تعالى لم يذكر لنا هذه الأماكن التى سوف نسوقها من خلال أوراق هذا الفصل من دون حكمة أو عبرة، بل ذكرها الله تعالى لمعانٍ قد نعلم بعضها ونجهل البعض الآخر.

وكما هو معروف لدينا جميعاً.. فإن المكان يلعب دوراً مهماً فى حياة كل منا فما بالناس بحياة هؤلاء الأنبياء. إذن من المؤكد أن هذه الأماكن قد أضافت الشيء الكثير إليهم فى حياتهم كما ساهمت من ناحية أخرى فيما جاءوا به من رسالات سماوية لأجل أن يبلغوها لأهل هذه الأماكن.

ليس هذا فقط، بل إن هناك من الأماكن التى لفظت بعض هؤلاء الأنبياء مما اضطروا معه للهجرة منها، واختاروا رغماً عنهم أماكن أخرى كى يقيموا بها إلى حين.

وما وقع لنبينا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام مع البلد الأمين والذي ولد فيه وعاش به طرفاً كبيراً من حياته ووسط أهله وعشيرته لخبر دليل على ذلك .. فقد اضطر هذا النبي الكريم أن يترك مكة المكرمة التي شهدت إقامته على مدى أربعين عاماً وحتى عندما عاد إليها فاتحاً اتخذ من دونها مكاناً آخر أقام به .. إذ استمر عليه الصلاة والسلام مقيماً في المدينة المنورة إلى أن توفاه الله.

وهناك بخلاف ذلك العشرات من القصص التي ارتبطت بهجرة بعض الأنبياء وتركهم ديارهم وقراهم من أجل الدعوة إلى الله والفرار بدين الله خوفاً من إيذاء الكافرين.



من ذلك نعرف أن الأماكن في حياة الأنبياء لم تقتصر أهميتها على تلك التي كانوا يقيمون بها بعد ولادتهم، بل شملت كذلك أماكن أخرى شاركت في أحداث خاصة بتلك الرسائل السماوية التي حملوها إلى بني البشر. ومن ذلك على سبيل المثال تلك القرية التي كان يعمل أهلها الخبائث والتي هاجر إليها لوط عليه السلام والمعروفة تاريخياً باسم «سادوم وعمورية».. ثم ذلك الجب الذي استضاف نبي الله يوسف عليه السلام وكان بداية خير له إذ ساهم هذا الجب وبطريقة غير مباشرة وفي إحدى أطوار حياته في توليه عرش مصر كحاكم عدل.. ثم الطور الأيمن في أرض سيناء.. والذي شهد كذلك تجلي رب العالمين على نبيه موسى عليه السلام.. وجبل الجودي الذي شهد هو الآخر مهبط سفينة نوح، والتنور الذي كان علامة انطلاق هذه السفينة.

وهناك بالإضافة لما ذكرناه من أماكن مشهورة: السجن والعرش واليم والصرح والوادي المقدس طوى ومجمع البحرين ووادي النمل والمغتسل والربوة ذات القرار المعين .. والغار.. وكلها أماكن مهمة جاء ذكرها في كتاب الله، وبالتالي سوف نتناولها جغرافياً وتاريخياً ودينياً أيضاً.. وسيكون منهج المعالجة في هذا الفصل قائم

على السرد التاريخي المرتبط بالفترة التي ظهر بها كل نبي ورسول، وذلك من أجل تحقيق الفائدة المرجوة.

❖❖ التنور علامة انطلاق السفينة:

عندما نتذكر قصة نوح عليه السلام أو حتى نقرأ بعض تفاصيلها في كتاب الله وفي كل كتب التفسير يطفوا إلى سطح أحداثها مكانين على جانب كبير من الأهمية وقد ذكرهما القرآن الكريم في هذه القصة وهما: التنور والجودي.

الأول ارتبط بقوة الموعد الذي حدده ربنا تعالى لأجل انطلاق السفينة التي امتلأت بالمؤمنين من أتباع نوح عليه السلام، وذلك بعد هطول الأمطار وإغراق الأرض بالماء.. وكما هو معروف، فقد جاء ذكر هذا التنور في سورتين هما سورة هود الآية (٤) وفي قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا إحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾. وفي سورة المؤمنون الآية (٢٧).

وعلى الفور وحين نتحدث عن التنور، لا بد لنا ولغيرنا أن يتذكر أيضاً ذلك الطوفان الذي أغرق الأرض ومن عليها، وقد جعل الله تعالى لنبيه نوح ذلك التنور عندما يفور مآؤه علامة مميزة من أجل الاستعداد للإبحار بسفينته مع المؤمنين. ولقد اختلف المؤرخون في تحديد ماهية هذا التنور ومكانه أيضاً. فقال بعضهم إنه كان موجوداً في منزل نوح عليه السلام نفسه^(١) كما قالوا أن فوران ماء التنور المغلي.. كان هو علامة تحرك هذه السفينة.

والتنور وفق ما جاء في معجم التفسير اللغوي لكلمات القرآن لصاحبه د. حسن عز الدين الجمل: أن من معانيه مفجر المياه.. وذلك حين تخرج الماء من باطن الأرض. كعلامة على قرب حدوث الطوفان وتحرك السفينة في اتجاه الأمان بعيداً عن الكافرين من قوم نوح عليه السلام.. ليس ذلك فقط بل تحدث عدد من العلماء ومن المفسرين أيضاً عن ماهية هذا التنور وفورانه ومن ذلك ما أشار إليه العلامة

(١) قصص الأنبياء والتاريخ - د. رشدي البدرأوى ج ١ .

النيسابورى فى تفسيره عندما قال: لقد اختلف العلماء فى قوله تعالى: ﴿وَنَارُ التَّنُورِ﴾ حيث قال على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه يعنى طلوع الفجر ونور الصبح، وقال ابن عباس: إنبجس الماء من وجه الأرض، والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً، وقال قتادة: أن التنور أشرف موضع على وجه الأرض وأعلى مكانا فيها، وقال الحسن: أراد الله بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنوراً من الحجارة، وكان لآدم ثم انتقل إلى نوح فقيل له إذا رأيت الماء يفور فى التنور فاركب أنت وأصحابك، فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته.

وكذلك اختلفوا فى موضعه فقال مجاهد: كان ذلك فى ناحية الكوفة وروى السدى عن الشعبي: أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا فى ناحية الكوفة، وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة، وقال مقاتل: ذلك تنور آدم وإنما كان فى الشام فى موضع يقال له عين ورد، أما ابن عباس فقال: كان التنور بالهند والفوران هو الغليان، فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى. (١)

**** الجودى.. حين رست سفينة نوح:**

وما زلنا فى رحاب قصة حياة نوح عليه السلام والأماكن التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم والخاصة برسائله ودعوته إلى الله تعالى.. حيث الجودى . ذلك الجبل الذى رست فوقه هذه السفينة بعدما أغرق الله تعالى الكافرين من قوم نوح وكان منهم بطبيعة الحال ابنه الذى لم يتبع تعاليم والده وفضل أن يتبع الكافرين من قومه.

وهناك العشرات من كتب المؤرخين التى تحدثت بالتفصيل عن جبل الجودى الذى رست فوقه سفينة نوح عليه السلام، ومن هذه الكتب المشهورة كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى.. والذى تحدث فيه عن موقع هذا الجبل ومكانه، مما ذكره فى هذا السياق قوله: إن الجودى هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل وعليه استوت سفينة نوح عليه السلام عندما نصب الماء.

(١) قصص الأنبياء - المسمى عرائش المجالس - للثعالبي.

أما الإمام الطبري فقد تحدث هو الآخر عن هذا الجبل ضمن حديثه عن قصص الأنبياء. وتناول فيما ذكره تفاصيل كثيرة عن طوفان نوح عليه السلام. فقال : إن الماء ارتفع على أطول جبل في الأرض بمقام خمسة عشر ذراعاً عندئذ سارت السفينة براكبها ومعهم نوح عليه السلام. وطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت حول الحرم أسبوعاً، ورفُع البيت الذي بناه آدم عليه السلام خوفاً من الغرق. عندئذ أخذت في الذهاب حتى انتهت إلى الجودي، وهو جبل في أرض الموصل. فاستوت فوقه بعد ستة أشهر وقيل بعد سبعة أشهر.

كما تناول هذا الجبل بالحديث .. عدد آخر من المؤرخين ومن علماء الجغرافيا.. ومما ذكره في هذا السياق قولهم بأن جبل الجودي معروف باسم جبل أراراط وقمته ترتفع عن سطح البحر بـ ٦ آلاف قدم. وفي أقوال أخرى تبلغ قمته ما بين ١٣ أو ١٤ ألف قدم.

والمثير للدهشة أن بعض الأثرين قد استهوتهم سفينة نوح عليه السلام فأخذوا ينقبون عنها فوق قمة جبل أراراط. حيث عثروا على بقايا سفينة كبيرة ومتحجرة داخل هذا الجبل، وتم الإعلان عن هذا الكشف في عام ١٩١٤، كما ذكرت بعض معلومات دوائر المعارف أن كلمة أراراط إنما هي في الأصل لفظ عبري ومأخوذ من الأصل الأكادي «أوراطو».

كما أطلق هذا الاسم على بلاد جبلية تقع شرق آشور، وفي مصدر آخر من مصادر المعلومات ذكر أن كلمة أراراط تطلق على هضبة جبلية في غرب آسيا، تنحدر منها وفي اتجاهات مختلفة أنهار عدة.

أما في مركز هذه الهضبة الجبلية توجد بحيرة قان التي تشبه في تكوينها الجيولوجي البحر الميت حيث لا مخرج لها. ^(١)

(١) جبال الأنبياء - كتاب للمؤلف.

وتوجد دلائل جغرافية وجيولوجية تؤكد أن الإقليم الذى يقع فيه هذا الجبل كان فى الماضى أغزر مطراً مما هو عليه الآن، ولهذا كان أكثر ملاءمة لحاجات الإنسان الأول، هذا المكان جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سورة هود الآية (٤٤) وفى قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ .

ويؤكد علماء الجغرافيا أيضاً أن البعثات التنقيبية الخاصة بالآثار قد عاودت زيارة هذا الجبل مرة أخرى فى عام ١٩٥٥ برئاسة المهندس الفرنسى «فرناندونافرا» والذى عثر على بقايا أخشاب أخرى، وفى عام ١٩٦٩ تم العثور على قطع خشبية جديدة مما أكد لدى هؤلاء العلماء رسو سفينة نوح فوق هذا الجبل من قبل انحسار الطوفان. ويؤكد الدكتور رشدى البدرأوى على ما ذهب إليه هؤلاء العلماء من أن السفينة قد رست على الجودى وهو أحد جبال أراراط فى أقصى شمال العراق، وأراراط هو سلسلة جبال فى أرمينيا أو هى أرمينيا ذاتها.

**** فجع عميق .. ودعوة إبراهيم عليه السلام:**

ونعود من جديد للحديث عن الحج وما ارتبط به من أماكن مشهورة فى القرآن الكريم.. ومن بين هذه الأماكن الفجع العميق .. الذى ارتبط بدعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام. حين أمره ربه بأن يؤذن فى الناس بالحج بعدما رفع القواعد من البيت الحرام هو وابنه إسماعيل عليهما السلام.

ويبدو ذلك واضحاً فى قول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الآية (٢٦ و٢٧).

وفى تفسير ابن كثير لهذه الآية قال: ونادى إبراهيم فى الناس داعياً إليهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه.. فذكر أنه قال عليه السلام: يا رب وكيف أبلغ الناس وصوتى لا يصل إليهم، فقل له: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه ، وقيل على الحجر، وقيل على الصفا: وقال: أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً

فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأجابه كل شئ سمعه" «ليبك اللهم لييك» (١).

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوى إن الفج في الأصل: الفجوة بين جبلين، ويستعمل في الطريق المتسع، والمراد في هذه الآية مطلق الطريق وجمعه فجاج، ويؤكد هذا التفسير اللغوى الذى ذهب إليه الدكتور محمد سيد طنطاوى ما ذكره الدكتور نبيل عبد السلام هارون فى معجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم حيث قال: فجج أو فج: الطريق الواسع البعيد وجمعه فجاج، كما أكد أيضاً هذا التفسير معجم ألفاظ القرآن الكريم فى جزئه الثانى والذى جاء به أن الفج هو الطريق الواسع البعيد وجمعها فجاجاً أى الطرق الواسعة البعيدة وفقاً لما جاء فى سورة الأنبياء الآية (٣١) وفى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لِّعَلَّهِمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وعندما ننظر بعين الحداثة فى تفسير كلمة فجاجاً أو فج عميق. لابد وأن يصل إلى أذهاننا حتى بدون تعب.. أن الله تعالى يشير من خلال هذا اللفظ إلى البلاد البعيدة وفى كل القارات، وقد تحقق ذلك فى أيامنا هذه. خاصة فى ظل هذا التطور المذهل فى وسائل المواصلات جواً وبحراً وبراً، حيث كانت هذه الوسائل من قبل قاصرة فقط على الطرق البرية، وبعض طرق البحر غير الآمنة.

فقد رأينا من يحج إلى بيت الله الحرام ويأتى من كل بقاع الدنيا والتى لم يكن يتصور أجدادنا مدى بعدها أو استحالة تركها من أجل هذه الرحلة المباركة.

من هنا نؤكد أن كلمة الفج العميق يقصد بها فى أيامنا هذه تلك البلاد البعيدة سواء من قارات الأرض الشمالية أو الجنوبية، وحتى القارة البيضاء أو الثلجية التى يأتى منها أيضاً عباد الله لزيارة هذا البيت وإتمام رحلة الحج والتى قد تستغرق أياماً طويلة، بل وأسابيع فى السفر بالطيران أو البحر، مع استحالة تحقيق هذه الرغبة برأ. وصدق الله العظيم حين ذكر لنا على لسان نبيه الكريم إبراهيم عليه السلام.. ﴿يَأْتُوكَ مِنْ كُلِّ فِجٍ عَمِيقٍ﴾.

(١) تفسير ابن كثير.

**** الجب .. ويوسف عليه السلام:**

وننتقل من جديد إلى قصة أخرى من قصص أنبياء الله والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم مصحوبة ببعض الأماكن المشهورة في حياة نبي الله يوسف عليه السلام، ومن هذه الأماكن «الجب».. والذي نعتبره نقطة فارقة في حياة هذا النبي الكريم وفي قصة حياته ورسالته أيضاً، إذ جعل الله هذا الجب بداية طيبة رغم صعوبتها على هذا الصبي وعلى أبيه يعقوب عليهما السلام.

أقول لقد جعل هذا الجب بداية لتفاصيل كثيرة في حياة نبي الله يوسف وحياة إخوته وأبيه. ذلك لأن هذا الجب ذاته كان سبباً في وصوله إلى مصر. وتولية عرشها. وذلك من بعد عدة سنوات قضاها في غربة ولوعة وشوق لأبيه. هذه السنوات الطويلة اختلف في تحديدها المؤرخون والمفسرون.

وما لا بد من الإشارة إليه في سياق الحديث عن ذلك الجب كمكان مشهور في القرآن الكريم هو بعض ملامح قصة يوسف عليه السلام وهو لا يزال يعيش في كنف أبيه مع إخوته وذلك من قبل حدوث ذلك الفراق القصرى والذي أودى به إلى ذلك الجب.

والجب كما جاء في اللغة معناه البئر التي لم تبن بالحجارة ونحوها. (١)

ومن أهم ما أشار إليه القرآن الكريم فيما يخص قصة هذا النبي الكريم أن أباه هو يعقوب عليه السلام والذي عرف فيما بعد باسم إسرائيل.. وهو أحد أحفاد إبراهيم عليه السلام.. هذا النبي الكريم أنجب عشرة أولاد وابنة واحدة من عدة زوجات.. كان من بينهم يوسف عليه السلام الذى هو بطل هذه القصة.

ولقد أعمى الحقد قلوب إخوته فقرروا أن يتخلصوا من أخيهما الصغير الذى استشرف ما سوف يحدث له من جانب إخوته وذلك فى حلمه المشهور. هذا الحقد جعلهم يقذفون به فى ذلك الجب العميق.

ورغم صعوبة هذا الموقف على كل من يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام إلا أن

(١) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن - مصدر سابق.

هذا الجبُّ ذاته كان فاتحة خير على هذا النبي وعلى أهله الذين جاء بهم جميعاً إلى مصر ليقيموا بها بعدما تولى يوسف عليه السلام وفق مشيئة رب العالمين عرش مصر.

والجبُّ الذى نزل فيه هذا النبي الكريم قد شغل العديد من المؤرخين وكتاب السيرة النبوية، ومن هؤلاء الدكتور محمد سيد طنطاوى الذى قال: إنه حفرة عميقة فى الأرض، وغيابة الجب: معناه أنهم ألقوه فى موضع مظلم من الجب حتى لا يراه أحد.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم هذا الجب فى آيتين فى سورة يوسف هما: الآية العاشرة والخامسة عشرة.. وكان من بين المؤرخين الذين توسعوا فى حديثهم عنه وعن موضعه وما ارتبط به من حكايات هو الإمام النيسابورى الذى قال نقلاً عن ابن عباس ومقاتل وبحيرا عن كعب الأحبار عن سعيد بن أبى عروة قالوا: أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة، فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وضربوه.

ولما هموا بقتله قال لهم أخوهم يهوذا: لا تقتلوه. فعندئذ أجمعوا أمرهم على إلقائه فى الجبِّ كما أشار بذلك رب العالمين فى القرآن الكريم. وكان هذا الجب فى الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق فى واد من أوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وكانت بئراً موحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق، يهلك من يطرح فيه من سعه أسفلها ولا يمكنه الصعود منه.. وكان مأواه ملحاً.. ويقال كذلك إن هذا الجبُّ قد حفره سام بن نوح وسمى جب الأحران^(١).

أما الدكتور رشدى البدرأوى فيؤكد فيما وصل إليه أن إخوة يوسف قد اختاروا بئراً على طريق القوافل، حيث لم يتصدوا موته، بل هدفهم إبعاده بإلقائه فى هذه البئر، وهذا كلام فى واقع الأمر مردود عليه لأنهم فى بداية تفكيرهم كانوا قد عقدوا

(١) عرائش المجالس - المصدر السابق.

العزم على قتله وفق ما أشار إليه القرآن الكريم ولولا تدخل رحمة الله فى صورة رجاء أخيه يهوذا أو غيره لكانوا قد أقدموا على هذا الفعل المنكر.

***** السجن .. بدلاً من المعصية:**

وما زلنا فى رحاب قصة يوسف عليه السلام .. ولكن فى مرحلة جديدة من مراحل حياته التى شهدت أحداثاً كثيرة.. ذكر لنا القرآن الكريم منها بعض الأماكن التى شاركت فى هذه الأحداث.

ومن هذه الأماكن .. السجن .. حيث ذكر الله تعالى لنا فى كتابه العزيز عن السجن حديثاً طيباً فى سورة يوسف الآيات: (٣٣) - (٣٦) - (٣٩) - (٤١) - (٤٢) - (١٠٠) . وقد تناول هذا الحديث .. السجن فى الفترة التى تصور من كانوا حول يوسف، هذا النبى الكريم، إمكانية إغرائه من أجل المعصية.. ونراه هنا يعبر عن ذلك بقوله فى الآية (٣٣): ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾.

كما أوضح لنا القرآن الكريم أن فترة السجن المشار إليها فى حياة هذا النبى الكريم كانت هى نفسها الفترة التى شهدت بعدها انتقاله إلى عرش مصر. ومما هو واضح من سياق القصة التى حكاها لنا القرآن الكريم أن دخول السجن كان تهديداً من امرأة العزيز التى صرحت بأنه إن لم يفعل يوسف عليه السلام ما أمرته به من الاستجابة لرغباتها ليكون من المسجونين أو من الأذلاء المهانين المتهورين. ولما وصل هذا التهديد السافر إلى مسامع يوسف عليه السلام دعى ربه مستجيراً به مفضلاً دخول ذلك السجن على معصية الله.

ويقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى: أن هذا القرار بسجن يوسف كان يدل على أن امرأة العزيز كانت مالكة لقيادة زوجها صاحب المنصب الكبير، فهى تقوده حيث تريد، وكما يقود الرجل دابته!!.

والسجن كما نعرف جميعاً هو مكان يقضى فيه المذنب عقوبة أساسها .. حرمانه من حريته، مهما اختلفت مدة هذا السجن. وهو وسيلة قديمة ابتدعها الإنسان من أجل الحد من الجرائم ، أو عقاب الخصوم. ويختلف السجن من مكان إلى آخر ومن

مجتمع إلى آخر سواء في حجمه أو في مكانه أو في الوسائل المستخدمة بداخله للتعذيب أو للترهيب، كما اختلف استخدامه كوسيلة عقابية من زمن إلى آخر.

وهناك من الرواة الذين كانوا ينظرون إلى السجن في الماضي البعيد على أنه قبر يدفن فيه المذنب أو غير المذنب وهو على قيد الحياة!!.

ويبدو أن يوسف عليه السلام عاصر هذه الفترة التاريخية. فربما مكث في هذا السجن طوال حياته لولا أن هيا الله له هذا السجن الذى خرج وأبلغ عنه الحاكم، تفسيراً لرؤياه الخاصة بالسنوات العجاف.

ولقد روى يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث فى السجن ما لبث»، يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى.

وذكر بعض المؤرخين أن يوسف عليه السلام قضى فى سجنه سبع سنوات وأن هذا السجن كان خارج المدينة على حد قول ابن عباس الذى أضاف: أن الفتى الذى أخبر عن يوسف تذكره بعد مرور عدة سنوات عندما طلب من الملك أن يتم إرساله مرة أخرى إليه لمقابلة يوسف وليقص عليه خبر هذه الرؤيا.

وبالفعل عاد هذا الفتى والتقى بيوسف عليه السلام الذى فسر له الحلم، وعندما رجع الفتى إلى سيده أخبره بما كان من أمر تفسير يوسف عليه السلام لرؤياه، وبالتالي طلب الإفراج عنه.. ولكن يوسف عليه السلام أثر الانتظار فى السجن حتى تثبت براءته من جانب امرأة العزيز التى اعترفت بذنبها.

وقد عبر لنا رسولنا الكريم عن هذا الموقف من جانب يوسف وكرمه وصبره، إذ قال رسول الله: «لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره، والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترب أن يخرجونى. ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولم أتبع العذر والله إنه كان حليماً ذا أناة».^(١)

(١) عرائش المجالس .. مصدر سابق

**** العرش .. وختام لقصة نبي كريم:**

رغم أن كلمة العرش قد وردت في قصة نبي الله يوسف إلا أنها كذلك قد ذكرت في غيرها من قصص الأنبياء كمكان مشهور ارتبط بهؤلاء الأنبياء الذين عاصروا ملوكاً كانوا يجلسون على عروش بلادهم، وقد أرادوا لهم الهداية واتباع سبيل الإيمان بالله الواحد الأحد.. كذلك ذكرت كلمة العرش للدلالة على مكان عظيم في السموات السبع.. وهو خاص برب العرش العظيم رب السموات والأرض وما بينهما.

والعرش في اللغة هو سرير الملك، وقد جاء ذكر هذا المكان بهذا المعنى في كتاب الله في سورتي النمل الآية (٢٣) والتي حدثتنا عن تلك المرأة التي عاصرها سليمان عليه السلام والمعروفة تاريخياً بالملكة بلقيس ملكة سبأ وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ثم في سورة يوسف الآية (١٠٠) وفي قول الله تعالى: ﴿رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

وبخلاف هذين المكانين المرتبطين بالأرض التي نعيش فوقها .. جاءت كلمة العرش في كتاب الله معبرة عن ذات الله العليا ... وغير معروف حقيقته بالنسبة لنا كبشر، وذلك في سور الأعراف الآية (٥٤)، وفي الآية (١٢٩) من سورة التوبة باللفظ والآية (٣) في سورة يونس والآية (٢) في سورة الرعد، و(٤٢) في سورة الإسراء و(٥) في سورة طه، و(٢٢) في سورة الأنبياء و(٨٦) و(١١٦) في سورة المؤمنون و(٥٩) في الفرقان و(٢٦) في النمل و(٤) في السجدة و(٧٥) في الزمر والأيتين (٧) و(١٥) في سورة غافر و(٨٢) في الزخرف و(٤) في سورة الحديد و(٢٠) في سورة التكوين وأخيراً في الآية (١٥) في سورة البروج.

ويتضح من البيان السابق لكلمة العرش الدالة على مكان مشهور في كتاب الله تعالى أنها ذكرت معبرة عن سرير الملك مرتين في سورة النمل ويوسف، أما بالنسبة لمعناها الذي لا يعلم حقيقته إلا الله فقد ذكرت ١٩ مرة في ١٨ سورة قرآنية. (١)

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج (٢).

وفى تفسير الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى لآية العرش فى سورة يوسف قال : لقد استجاب إخوة يوسف لقوله عندما أتوا بأهله جميعاً إلى مصر. من بلاد الشام التى كانوا يعيشون بها ومعهم أبوهم يعقوب عليه السلام، فلما وصلوا إليها ودخلوا على يوسف ضم إليه أبويه وعانقهما عناقاً حاراً.

وقد ذكر المفسرون هنا كلاماً يدل على أن يوسف عليه السلام وحاشيته ووجهاء مصر عندما بلغهم قدوم يعقوب بإسرته إلى مصر خرجوا جميعاً لاستقبالهم. وكان عدد أفراد هذه الأسرة ما بين الثمانين والتسعين. عندئذ اجلس يوسف أبويه معه على السرير الذى كان يجلس عليه تكريماً لهما وإعلاء لشأنهما، وقد خروا له ساجدين من أجل يوسف وكان ذلك جائزاً فى شريعتهم آنذاك.

ولنا رأى قد يخالف ما ذهب إليه المفسرون فيما يخص العرش. حيث نرى أن المقصود به ليس السرير الذى يجلس عليه الحاكم.. بل المقصود ذلك المكان الذى يجلس فيه الحاكم وسط قصره حيث يعلوه كرسي كبير ومحاط بحرس شديد.. ولا يستطيع أحد من الرعايا أو العاملين بالتقصر أن يدخلوه إلا بعد استئذان من مخصوص يبلغ الحاكم بالتقدم والموعد المضروب له سلفاً. وهذا ما نراه بالفعل فى حياة الملوك حالياً.. وما كنا نسمع عنه فى حياة الملوك زمان.

ويقال فى هذا السياق إن يعقوب عليه السلام قد مكث فى مصر بعد وصوله إليها وأهله ٢٤ عاماً. حيث وافته المنية.. وكتب فى وصيته لابنه يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة كى يدفن عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليهما السلام.

***** القرية .. التى كانت تعمل الخبائث:**

على كثرة ما جاء فى كتاب الله عن كلمة القرية أو القرى كمكان مشهور فى هذا الكتاب العظيم.. إلا أننا لاحظنا أن معظمها يدل دلالة عامة على أية قرية وفى أى مكان.. إلا ما جاء بشأن قرية نبي الله لوط عليه السلام.. تلك القرية التى كانت تعمل المنكر فيما بين أهلها!!.

ففى سورة الأنبياء وفى الآية (٧٤) جاء ذكر هذه القرية باللفظ والمعنى السابق ذكره وكذلك فى سورة الفرقان فى الآية (٤٠) وفى قوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على

الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴿٣٤﴾ . وفى سورة العنكبوت الآيتين (٣١) و(٣٤) .. والمقصود فى كلمة القرية فى الآيات فى كل من سورة الأنبياء والفرقان والعنكبوت، هى تلك القرية التى كان يقيم بها لوط عليه السلام والتى دمرها رب العالمين إزاء ما كان يرتكبه أهلها من فعل المنكرات، وهى تعرف فى التاريخ الانسانى باسم قرية سدوم وعمورية، وقد أسكنها رب العالمين تحت مياه البحر الميت وفق ما قاله عشرات من المفسرين بعدما دمرها جبريل عليه السلام وقلبها رأساً على عقب إزاء ما كانوا يرتكبونه من معاصٍ.

ويقول المفسرون عما وقع لأهل هذه القرية ومصيرهم : أنهم بعدما علموا بوجود ضيوف لوط عليه السلام من الملائكة وهم لا يعرفون أصلهم أو ماهية جنسهم ، جاءوا إليه مسرعين يسوق بعضهم بعضاً إلى بيته من شدة الفرح، ومن قبل هذا المجئ كان هؤلاء القوم الفاسقون يرتكبون السيئات الكثيرة التى كان من أقبحها إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء.

ويؤكد الدكتور محمد سيد طنطاوى أن القرآن الكريم قد طوى ذكر الغرض الذى جاءوا من أجله لإشعارنا بتلك الفاحشة التى صارت عادة من العادات المتأصلة فى نفوسهم الشاذة، فلا يسعون إلا من أجل قضائها.

وأضاف أنه وبعد أن بلغ الضيق بلوط عليه السلام ما بلغ كشف له الملائكة عن حقيقتهم وبشروه بما أدخل الطمأنينة على قلبه، مؤكدين له أن الله تعالى قد أرسلهم كى يخبروه بهلاك أهل هذه القرية، وطلبوا منه أن يتركها فى الليل هو وأهله إلا امرأته، فإنه سوف يصيها ما سوف يصيهم عندما يأتى الصباح.

وصدق هؤلاء الملائكة فيما أبلغوه لهذا النبى الكريم، حيث اقتلع جبريل عليه السلام تلك القرية وما حولها ثم قلبها.. وفى رواية أخرى أن هذا الملاك الكريم أدخل جناحيه تحت هذه القرية ورفعها ثم قلبها..، ليس ذلك فقط، بل لقد أرسل الله عليهم حجارة من طين متحجرة نزلت عليهم كالطرر، وقيل إنها كانت بعلامة خاصة بأسماء من سوف تنزل عليهم لقتلهم!

وهناك شبه إجماع بين المفسرين وبين المؤرخين على أن القرية التى كان يقيم بها

لوط عليه السلام وشملها وأهلها هذا العذاب هي قرية سدوم التي كانت تقع على البحر الميت في وادي نهر الأردن. وهناك آلاف المحاولات من جانب رجال الآثار والمستكشفين في العصر الحديث للوصول إلى هذه القرية التي تقع وأهلها أسفل هذا البحر .

وتسمى قرى أو قرية قوم لوط بالمؤتفكات وهي جمع مؤتفكة، ومعناها الانقلاب بجعل الشيء أعلاه سافله، وهذا ما وقع بالفعل لتلك القرى التي كانت ترتكب الفحشاء غير المسبوقة على زمانهم!.

***** اليم: في ماء النيل وماء البحر:**

إذا ما جاء ذكر لفظ اليم كمكان مشهور في كتاب الله كان لا بد لنا وأن نتذكر سويًا قصة موسى عليه السلام. لأن هذا المكان قد ارتبط ببداية حياته حين خافت عليه أمه من أن يقتله الفرعون، كما ارتبط كذلك بنهاية حياة ذلك الفرعون الذي كان مصيره وجنوده الغرق في ذلك اليم.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم كلمة اليم في سورة الأعراف الآية (١٣٦)، وفي سورة طه الآيات (٣٩) - (٧٨) - (٩٧) وفي سورة القصص الآيتين (٧) - (٤٠) ثم في سورة الذاريات الآية (٤٠) .

وكما سبق وذكرنا فإننا حين نقرأ كل هذه الآيات التي جاءت في هذه السور الكريمة الأربع.. سوف نكتشف أن اليم كمكان مشهور لم يأت ذكره إلا في قصة موسى عليه السلام من بدايتها وحتى نهايتها ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَن أَقْذِفَ فِي النَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾. وكان بين هذه البداية وتلك النهاية أحداث كثيرة وعظيمة شهدتها قصة موسى عليه السلام في صراعه مع فرعون من أجل هدايته إلى رب العالمين وتركه لعبادة ذاته وعبادة قومه له من دون الله!.

واليم كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم معناه البحر ملحاً كان ماؤه أو عذباً، ذلك لأننا بالفعل نجد هذين المعنيين في كتاب الله وفي قصة موسى عليه

السلام. فقد أخبرنا الله تعالى بأنه أوحى إلى أم موسى أن تلقيه في اليم حيث كان الماء العذب يجري من أمام قصر فرعون.. إذ قدر الله تعالى أن يتوقف التابوت الذي كان يسبح في ذلك اليم العذب أمام إحدى جوارى زوجته فأنت به إلى قصرها، ولقد ألقى الله تعالى محبته كطفل في قلبها فطلبت من زوجها ذلك الفرعون العنيد. والذي كان يقتل أبناء قوم موسى أن يبقيه داخل القصر.

ويقال في هذا الشأن أن فرعون موسى لم يكن آنذاك ينبغي فاختارت زوجته أن تتخذه ولداً لها، وهنا تتدخل مشيئة الخالق العظيم الذي يدبر كل شيء تدبيراً حكيماً. أما المعنى الخاص بكون هذا اليم به ماء مالح، فقد ارتبط كذلك بنهاية قصة فرعون موسى حيث أغرقه الله تعالى وجنوده ووزيره هامان في هذا اليم المالح وهم في طريقهم إلى خارج مصر هرباً من مطاردته وجنوده وكبير كهنته ولحكمة لا يعلمها إلا الله، فقد طفت جثة الفرعون ولم تغرق مثلما غرق كل من كانوا معه.

**** الطور .. عندما كلم الله موسى:**

وفى قصة موسى عليه السلام أيضاً أماكن مشهورة أخرى جاء ذكرها في القرآن الكريم وهي تستوجب منا التوقف عندها لتدبرها والتعرف على معانيها ومغزاها. ومن بين هذه الأماكن الطور أو الطور الأمين. ومن عظيم رحمة الله وتقديره لهذه البقعة المباركة فوق أرض مصر.. أن ذكرها العديد من المرات في كتابه العزيز. فالطور كما هو معروف هو الجبل أو اسم لجبل. وجاء ذكره في كتاب الله في سورة البقرة الآية (٦٣) وباللفظ في (٩٣).. وفي سورة النساء الآية (١٥٤) ومريم الآية (٥٢) وطه (٨٠) والقصاص الآيتين (٢٩ و ٤٦) والطور الآية (١).

كما ذكر لنا ربنا سبحانه وتعالى الطور كمكان مشهور في هذا الكتاب العزيز مقروناً بصحراء سيناء مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ الآية (٢٠) في سورة المؤمنون. ومعناه في هذه الآية وكما يقول معجم ألفاظ القرآن الكريم: جبل قرب أيله.

ثم جاء نفس اللفظ مقروناً بلفظ آخر يشير إلى لفظ سيناء مع اختلاف الحروف

وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ (١) وَطُور سِينِينَ﴾ الآية (٢) من سورة التين، وطور سينين هنا معناه طور سيناء. (١)

وما نود أن نشير إليه فى سياق الحديث عن هذا المكان المشهور هو أن الطور وطور سيناء وطور سينين إنما يدل على مكان واحد. قد ارتبط بالمرحلة الثانية من مراحل حياة موسى عليه السلام الإيمانية. هذه المرحلة التى بدأت من بعد هروبه الأول من مصر على إثر ما حدث منه تجاه هذا المصرى الذى قتله.

ولقد شهدت هذه المرحلة تكليفه من لدن رب العالمين بالدعوة إلى الله وهداية فرعون مصر. هذه الدعوة التى تلقاها موسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن من البقعة المقدسة والتى تجلّى فيها رب العالمين بنوره الذى سطع على الكون كله فى هذه اللحظة التى كلم فيها موسى عليه السلام.

وهناك العديد من المؤرخين وكتاب السير الدينية الذين توسعوا فى الحديث عن الطور ومكانه ودوره فى حياة موسى عليه السلام ومسيرة رسالته السماوية، كما تناول الحديث بعينه بعض مؤرخى الكتاب المقدس. ونرى الدكتور رشدى البدراوى يشير إلى كل ذلك فى قوله: إن التوراة تذكر أن هناك جبلين كلم الله موسى عليه السلام عليهما أحدهما جبل حوريب بجوار خليج العقبة والآخر جبل موسى المعروف فى جنوب سيناء.

بل إن معظم الكتب الدينية قد أجمعت على أن جبل حوريب هو نفسه جبل سيناء، ويؤكد الدكتور البدراوى، ونحن معه بطبيعة الحال بأن الحق هو ما قرره القرآن الكريم خاصة فيما يتعلق بالطور.. إذ إن موسى عليه السلام بعدما أمضى عشر سنوات فى أرض مدين استأذن حماه فى العودة إلى مصر وأخذ أهله معه وسار فى طريق العودة حيث انحرف جنوباً فوصل إلى جبل سيناء.

وفى ظل هذا الجبل المبارك حدث له ما حدث وفق ما حكاه القرآن الكريم عن

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم - جزء ٢ .

كلام الله لهذا النبي الصالح وتكليفه برسالته السماوية الأولى. والمعروفة بالديانة اليهودية.

ويؤكد الدكتور البدراوى أن موسى عليه السلام بدأت رحلة عودته إلى مصر مرة أخرى بعد أن بدأ فصل الشتاء. والدليل على ذلك قوله لأهله وفق ما جاء في القرآن الكريم ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ الآية (٧) من سورة النمل.

لقد ساقه الله إلى هذا المكان فى وسط سيناء بعيداً عن الطريق الذى تسلكه القوافل جيئةً وذهاباً بابلها وروثها، فوصل إلى المنطقة المسماة «الطور» وفيها الجبل الذى سُمى فيما بعد «جبل موسى». فلما رأى النار طلب من أهله أن يبقوا مكانهم، أما هو فسار حتى اقترب من النار فرأى عجباً على حد قول ابن عباس: إنه رأى شجرة أطافت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوء ما يكون، فوقف متعجباً من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة، فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها. (١)

ويؤكد نعوم شقير فى كتابه «تاريخ سيناء القديم والحديث» أن جبل طور سيناء الذى إليه تنسب الجزيرة كلها هو نفسه الجبل الذى جاءه موسى عليه السلام وناداه الله من جانبه الأيمن كى يعود إلى مصر لهداية آل فرعون، وهو جبل يقع على نحو ٦٠ كيلو متراً إلى الشمال الشرقى من مدينة الطور، بل ويؤكد فى السياق نفسه أنه نفس الجبل الذى نزل عنده النبي موسى عليه السلام بعد خروجه بالإسرائيليين من مصر وتجلّى الله له فأنزل عليه الشريعة. إضافة إلى ذلك فهو جبل خال من أى أنواع الخضرة وصعب ارتياده.

***** الوادى : المقدس طوى :**

لا بد وأن نشير فى البداية إلى أن الله تعالى قد بارك كل أرض سيناء وجعل منها أول بقعة فوق سطح الأرض تشهد تجلّى رب العالمين لأحد عباده الصالحين. وقد

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم - جزء ٢ .

سبق ومر علينا كيف استقبل موسى عليه السلام هذا التجلى الذى أسفر عن تكليفه بدعوة فرعون إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ويبدو من سياق حديث القرآن الكريم أن جبل الطور أو طور سيناء أو جبل موسى هو جزء أصيل من الوادى المقدس طوى الذى شهد كل أحداث تكليف موسى بهذه الرسالة السماوية فى مراحلها المتعددة سواء من قبل وصوله إلى مصر مرة ثانية أو من بعد رجوعه إلى أرض سيناء مع قومه من بنى إسرائيل.

والمسألة هنا فى تصورنا قد تعدت فكرة الجبل المرتبط بهذه الرسالة إلى واد كبير وعظيم وأرض مباركة مثل سيناء.. تلك التى شهدت تفاصيل لقاءات موسى عليه السلام وقومه مع رب العالمين.. وتلقيه الألواح وأحداث أخيه وقومه والسامرى الذى صنع لهم عجلاً مما خرجوا به من أموال وذهب وحلى كى يعبدونه من دون الله.

أما فيما يخص الحديث عن الوادى المقدس طوى ومدى قدسيته بالنسبة لموسى عليه السلام وبالنسبة لنا أيضاً.. فإن الله تعالى قد أمر نبيه بأن يخلع نعليه حيث دخل إلى هذا الوادى المقدس، ويتجلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ الآية (١٢) من سورة طه كما جاء نفس اللفظ فى سورة أخرى هى سورة النازعات الآية (١٦).

ولقد تبارى المفسرون فى أسباب خلع موسى نعليه وفق ما أمره به رب العالمين.. وما ذكروه فى هذا السياق قولهم: بأنها متعلقة بما بعدها وأن هذين النعلين كانا من جلد غير مذكى فكانت نجسه، وقيل أيضاً لقد أمر بذلك لتمس قدماه تربة ذلك الوادى المقدس فينال البركة. والأرجح وفق ما ذهب إليه الدكتور رشدى البدرأوى أنها متعلقة بما قبلها أى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ للخشوع والتواضع عند مناجاة رب العالمين.. وقد أخذ بهذا رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ويضيف المفسرون: أن موسى عليه السلام وفى هذا الوادى المقدس قد أعطاه رب العالمين بعض الآيات التى سوف تعينه فى رسالته ضد فرعون، ومن هذه الآيات عصاه التى تحولت إلى ثعبان عظيم، ويده التى خرجت بيضاء من غير سوء.. إضافة إلى ما طلبه موسى عليه السلام من ربه بأن يجعل من أخيه هارون وزيراً له ومعيناً،

لأن هارون عليه السلام كان أفصح منه لساناً. مما يعنى أن رسالته هذه إلى فرعون كانت تعتمد فى المقام الأول على الإقناع بالحديث الطيب اللين والذي قد لا يقدر عليه موسى عليه السلام.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم أن الله تعالى قد أمد نبيه موسى عليه السلام بتسع آيات إلى فرعون وقومه، ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوى أن الوادى المقدس اسمه طوى والمقدس هنا معناه المطهر المبارك.

والسؤال الذى يجب أن نجتهد فى البحث عن إجابة له تقول كلماته: وهل الوادى المقدس طوى هو أحد أودية صحراء سيناء؟ وإذا كان ذلك صحيحاً فإن هذه الأرض الطيبة مكونة أو كانت مكونة جغرافياً من عدة أودية لم يصرح لنا الله تعالى إلا بأحدها والوادى - كما نعرف لا بد وأن تكون فيه كل مقومات الحياة من مياه وزروع.

ولعلنا نركب عجلة الزمن كى نصل من خلالها إلى أيامنا هذه لتذكر سوياً ما أكدّه العالم المصرى الدكتور فاروق الباز من أن صحراء سيناء كانت أودية غناء بالخضرة والمحاصيل بدليل أن الأقمار الصناعية أثبتت أن فى أسفل هذه الصحراء أعظم وأكبر خزان ماء جوفى فى العالم.

بل وأكثر من ذلك قال أيضاً.. أن الأقمار الصناعية أثبتت أنه كانت هناك أنهار كثيرة فى هذه الصحراء، وأن هذه الآبار الجوفية الموجودة حالياً هى من نتاج هذه الأنهار، وبالتالي فعلينا أن نواصل البحث فى هذا الوادى وفى غيره من وديان أرض سيناء التى باركها رب العالمين عندما تجلّى على أرضها وعلى جبالها أكثر من مرة.

ويبدو أن الرئيس الراحل أنور السادات قد أراد أن يحيى هذا المكان ويعيد إليه روح الزمن الماضى، عندما فكر قبيل وفاته فى تحويل هذا المكان إلى ما أسماه آنذاك بوادى الراحة!، هذا الوادى الذى شهد التقاء أصحاب الديانات الثلاث فوق أرضه موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام^(١).

(١) راجع كتابنا: أماكن مشهورة فى حياة محمد ﷺ.

**** مجمع البحرين .. والخضر عليه السلام:**

الواضح فى كل كتب التفسير، الاهتمام بقصة مجمع البحرين وما ارتبط به من لقاء موسى عليه السلام بذلك العبد الصالح والذى أجمعت عليه كل كتب السيرة وكل ما كتب المؤرخين من أنه هو الخضر عليه السلام، وذلك دون أن يلتفت أحد من هؤلاء كى يحدثنا بالتفصيل عن مجمع البحرين هذا ومكانه وموقعه، ذلك لأن هذا المكان الطاهر هو جزء أصيل من القصة نفسها .

ولقد رأينا أن هذا الأمر مختلفاً بعض الشيء لدى كل من الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وكذلك الدكتور رشدى البدرأوى صاحب كتاب قصص الأنبياء والتاريخ خاصة فى الجزء الرابع والذى صدر تحت عنوان «موسى وهارون عليهما السلام» ومن هو فرعون موسى !.

فقد أشار الدكتور طنطاوى فى بداية حديثه عن هذا المكان أولاً إلى معناه لغوياً.. حيث قال: إن مجمع البحرين هو ذلك المكان الذى فيه يلتقى البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط، ونقل عن الألوسى قوله: والمجمع: الملتقى وهم اسم مكان، والبحران: بحر فارس والروم. كما روى عن مجاهد وقادة وغيرهما .. وملتقاها: مما يلى المشرق، ولعل المراد به مكان يقرب فيه التقاؤهما، وقيل البحران: بحر الأردن وبحر القلزم.

وواضح هنا أن الألوسى قد نقل حديثه هذا عن النيسابورى الذى قال هو الآخر: «حتى بلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى الشرق» وقد جاء ذلك ضمن حديث طويل للنيسابورى عن قصة موسى عليه السلام وكيفية لقاءه بالخضر عليه السلام، وعلامات ذلك اللقاء ونتائجه.

كما ينقل لنا الدكتور طنطاوى رأياً جديداً كتبه الشيخ سيد قطب فى كتابه فى ظلال القرآن والذى قال فيه عن مجمع البحرين: إنهما البحر الأبيض والبحر الأحمر، ومجمعهما مكان التقائهما فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر. فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر.

أما الدكتور البدراوى فيشير إلى هذا الخلاف الذى لاحظته بين المفسرين فيما يخص تحديدهم لمكان مجمع البحرين، فيقول : اختلف المفسرون فى تحديد هذا المكان حيث قال الألوسى والطبرى أنهما بحر فارس والروم. أو بمفهوما الحاضر الخليج الفارسى أو العربى والبحر الأبيض المتوسط.

وقالوا: ملتقاهما مما يلى المشرق، ولعل المراد مكان يقرب فيه التقاؤهما وإلا فهما لا يلتقيان إلا فى البحر المحيط. بينما ذكر أبو حيان أن مجمع البحرين يلى الشام. وقال محمد بن كعب القرظى: هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور إلى حسبا، وقال أبى إنه بإفريقية.

وروى عن السدى: البحران هما الكر والرس بأرمينيا وقيل بحر القلزم (البحر الأحمر) وبحر الأزرق، وللأسف لا يوجد على الخرائط بحر اسمه الأزرق، وقيل هما بحر ملح وبحر عذب وملتقاهما فى الجزيرة الخضراء فى جهة المغرب.

ويرجع الدكتور البدراوى هذا التخبط فى الوصول إلى حقيقة مكان مجمع البحرين بخصوص ما ساقه المؤرخون الأوائل إلى عدم معرفتهم بعلم الخرائط الذى ظهر حديثاً نوعاً ما كما كانت معلوماتهم الجغرافية مشوشة وغير دقيقة.

وبناء على المعلومات المتاحة حالياً فإننا نعرف أن مجمع البحرين هو مكان التقاء خليجى العقبة والسويس، ويؤكد الدكتور البدراوى أن هذا التفرع موجود منذ ملايين السنين ولكن لم تدركه عقول علماء الجغرافيا. وهذا المكان قد جاء ذكره كمكان مشهور فى كتاب الله فى سورة: الكهف (٦٠). أما لفظ البحرين فقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سور: الفرقان (٥٣) والنمل (٦١) و(١٩) الرحمن.

وما عرفناه من المفسرين الأوائل بخصوص مجمع البحرين وكثرة اختلاف المفسرين حوله إنما كان يؤكد اجتهادهم قدر ما توافر لديهم من معلومات، وبالتالي لا يعد ذلك شططاً فى التفسير، حتى أن بعضهم حين أعيته الحيلة افترض أن البحرين هما موسى والخضر. أى أنهما بحران من المعرفة، بل وقال آخرون إن شخصية الخضر هى شخصية اعتبارية أو رمزية، بل وأكثر من ذلك فقد أنكر بعضهم أن يكون موسى

عليه السلام هو صاحب هذه القصة بل هو موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب،
وقيل موسى بن أفرام بن يوسف.

**** وادى النمل .. وسليمان عليه السلام:**

يقول الكثير من المؤرخين إن سليمان عليه السلام، كان يملك جيشاً كبيراً فى العدة
والعتاد.. حتى أن غملة قد رأت هذا الجيش المهول من حيث عدده فخشيت على
نفسها وعلى قومها.. فقالت وفق ما ذكره مولانا تعالى فى كتابه العزيز: ﴿حَتَّى إِذَا
أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النمل الآية ١٨) .

ووادى النمل هذا وفق ما ذهب إليه الكثير من المؤرخين هو واد كان يتبع مملكة
سليمان والرأى الأرجح أنه وادى فى أرض فلسطين.

ونحن نعرف أن النمل يقيم دائماً منازلهم ومسكنه تحت الأرض.. وكثيراً ما يخرج
القادرون منهم لالتقاط أرزاقهم من فوق سطح الأرض.

وهناك بعض المفسرين الذين يرون أن وادى النمل المقصود فى هذه الآية هو وادى
السدير أحد أودية الطائف.

كما توسعوا فى الحديث عن هذا الوادى وطوله، فقال النيسابورى إن هذه النملة
قالت قولتها هذه وسليمان عليه السلام كان على بعد ثلاثة أميال من هذا الوادى لأنه
وعلى حد قوله لم يكن يتكلم خلق إلا حملته الريح وألقته فى مسامع سليمان عليه
السلام.

وفى بعض الأخبار - والكلام لا يزال للنيسابورى - إن سليمان لما سمع قولها
نزل إليهم وقال اثنوني بها فأتوه بها.. فقال لها لم حذرت النمل ؟ هل سمعت أننى
ظالم؟! أم علمتم أننى نبي عادل؟! فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟ قالت
النملة: يا نبي الله أما سمعت قولى: وهم لا يشعرون.

وهناك رواية أخرى سردها لنا الدكتور البدراوى فيما يخص وادى النمل ولم
يحدد لنا فيها موقفه ولأول مرة وعلى غير عادته.. يقول فيها: حتى إذا اقتربوا من

مساكن النمل بواد من الوديان، ولايهم تحديد مكانه!! - رأّت نملة ولعلها كانت المسئولة عن حراسة قومها في ذلك اليوم الذي مر فيه سليمان وجنوده، وتحذّرهم من الأخطار - جيوش سليمان تقترب من أماكن سعيها فخشيت أن تحطمها فصاحت تحذر أقرانها وتأمّرههم بأن يدخلوا مساكنهم تحت الأرض إلى أن يمر جيش سليمان.

ويؤكد في السياق نفسه وعلى غير ما ذهب إليه بقية المفسرين أن الله تعالى قد أوحى لنبيه سليمان بما قالته هذه النملة، مما جعل سليمان عليه السلام يأمر بأن يبطن جيشه المسير حتى تمر هذه النملة وغيرها من قومها في سلام، عندئذ تبسم هذا النبي الكريم بما قالته، وقال آنذاك داعياً الله تعالى: «رب أوزعني أن أشكر نعمتك». أى اجعلني أوزع شكر نعمتك، أى ارتبط به، مجازاً عن ملازمة الشكر والمداومة عليه. (١)

***** المغتسل .. حيث أراد الله الشفاء:**

يتضح من تتبعنا الواعى لقصة نبي الله أيوب عليه السلام.. وصاحب المغتسل.. أنه من أحفاد سيدنا إبراهيم الخليل. كما أن أمه حفيدة لوط عليه السلام، وبذلك وعلى حد قول الدكتور أحمد شلبي فإن العهد الذي عاش فيه يكون تقريباً بين عهدي يوسف وموسى عليهما السلام.

ولقد قصدنا بالحديث المقتضب عن نسب هذا النبي الكريم تحديد المكان الذي عاش فيه سواء وهو صحيح البدن أو من بعد مرضه، والمكان المقصود وفق ما جاء في كل الروايات هو أرض الشام ويقع بالقرب من فلسطين، وبالتالي فإن هذا المغتسل إنما هو موجود في أحد هذه الأماكن .

وفي أثناء زيارة خاصة لى إلى دمشق شاهدت داخل المسجد الأموى الكبير بئراً عميقاً في وسط هذا المسجد كان النصارى من قبل يتعمدون بمائه.

هذه البئر ضُمت إلى المسجد بعد الفتح الإسلامى وكانت من قبل داخل الكنيسة التى كانت قائمة آنذاك من قبل بناء هذا المسجد.

ومن المحتمل أن تكون تلك العين أو هذه البئر الباردة هى التى تفجرت تحت

(١) أنبياء بنى اسرائيل - د. رشدى البدرأوى.

قدمى أيوب عليه السلام وبوحى من رب العالمين من أجل شفائه، وذلك وفق ما جاء فى الآية الكريمة: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (الآية ٤٢) من سورة ص.

وهناك من المؤرخين ومن المفسرين الذين تحدثوا بتوسع عن هذا النبى وعن ابتلائه، ومن هؤلاء قول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى: إن أيوب عليه السلام هو ابن أموص بن برزاح ويتنمى نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وكان صاحب أموال كثيرة وله أولاد، فابتلاه الله فى ماله وجسده وولده، وظل صابراً صبراً جميلاً حتى أتاه فرج الله فيما أوحى إليه به بأن يضرب الأرض التى كان يقم فوقها وهو سقيم.

وربما هى منزله أو مكان ملحق بهذا المنزل، فانفجرت تحت قدميه عين ماء كانت بالنسبة له مغتسل وشراب.

وهذا هو الماء الذى جعله رب العالمين شفاء له من كل أسقامه ومشكلاته الصحية.

وهناك تفسير مهم أورده لنا الدكتور أحمد شلبى فى كتابه عن أنبياء الله.. وفيه يقول: يروى أن زوجته عليه السلام كانت تساعد على قضاء حاجته، ولكنها أبطأت عليه فى إحدى المرات، فلم يجد ما يغتسل به بعد أن قضى حاجته ولم يجد من يأخذ بيده عقب ذلك. فجاءت لفته السماء «أركض برجلك» أى اضرب الأرض برجلك، فامتثل لأمر الله واضرب الأرض، فأنبع الله له عين ماء وأعلمه الله أن «هذا مغتسل وشراب» ليغتسل من الماء ويشرب منه.

وما إن فعل ذلك حتى أذهب الله عنه ما كان يعانى منه من الأذى والألم والسقم والمرض، وأبدله الله عقب ذلك صحة ظاهرة وباطنة وأعاد له جسمه كما كان من قبل تغمره الفتوة والصباحة والجمال^(١).

وهناك بعض الروايات التاريخية التى تحدثت كذلك عن هذه العين. وهى التى حدثنا عنها الدكتور رشدى البدرأوى عندما أشار إلى أن الله أنبع له عيناً وأمره بأن

(١) أنبياء الله - د. أحمد شلبى - مصدر سابق.

يغتسل فيها فأذهب جميع ما فيه من ألم ومريض. ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها فأذهب جميع ما في بطنه من السوء. وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً، أى ذهبت القروح التى كانت بالجلد والآلام التى كانت فى الجسم.

وفى قول آخر: أنه عليه السلام قد ضرب برجله اليمنى فنبعثت عين حارة فاغتسل منها وبرجله اليسرى فنبعثت عين باردة فشرب منها، ولكن ظاهر المعنى هو عدم التعدد باعتبارها عين واحدة كانت له مغتسل وشراب.

وقالوا أيضاً: لما دعا جبريل عليه السلام فأخذه بيده ثم قال: قم فقام من مكانه، وقال: اركض برجلك فنبعثت العين فاغتسل وشرب وبرأ.

**** الغار .. وصاحبة ثانى إثنين:**

فى حياة نبينا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام أماكن مشهورة كثيرة جاء ذكر بعضها فى القرآن الكريم وتولت السيرة النبوية وكتبتها إكمال الحديث عن هذه الأماكن، وكان لنا شرف الإشارة إلى كل هذه الأماكن فى كتابنا الذى أصدرناه منذ عدة سنوات تحت عنوان «أماكن مشهورة فى حياة محمد».

وها نحن الآن نختم حديث هذا الفصل الخاص بالأماكن المشهورة التى ذكرت بكتاب الله وارتبطت بحياة الأنبياء ورسالتهم السماوية بالحديث عن «الغار» الذى ذكره ربنا تعالى فى كتابه العزيز، وكان بمثابة الوعاء الآمن الذى استوعب النبى الكريم وصاحبه وكان له دوراً كبيراً فى حمايتهما وحماية الإسلام.

وفى حقيقة الأمر وكما يؤكد ذلك الدكتور أحمد شلبى فى حديثه عن السيرة النبوية العطرة. أن الإسلام ارتبط فى مسيرته الطويلة بغارين.. غار منهما بدأ فيه الوحي وظهر الإسلام، ذلك هو غار حراء.. وغار آخر بدأت به الهجرة النبوية. تلك الهجرة التى هيات للإسلام أن يصبح أقوى من أعدائه.. ذلك هو غار ثور.

ونحن نضيف إلى ما قاله المؤرخ الدكتور أحمد شلبى. أن الله تعالى لم يذكر لنا

فى كتابه العزيز صراحة إلا غار واحد فقط، وإن لم يصرح لنا باسمه، وذلك فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية الأربعين من سورة التوبة.

هذا الغار الذى شهد بدايات ساخنة لمطاردة أهل قريش كما يقول الدكتور محمد حسين هيكى الذى وصف لنا رحلته عليه الصلاة والسلام إلى ذلك الغار والتى كانت بتوفيق ورعاية من الله العظيم.

وهو يقول فى هذا الوصف: «وفى اليوم الثالث حين عرفنا - أى محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبى بكر - أنه قد سكن الناس عنهما أتاهما صاحبهما ببيعير له، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بطعامهما. فلما ارتحلا لم تجد ما تعلق به الطعام والماء فى رحالهما فشقت نطاقها وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر. فسميت بذلك بذات النطاقين».

ثم امتطى كل رجل بيعره ومعهما طعامهما ومع أبى بكر خمس آلاف درهم هى كل ماله. وزادهما اختفاؤهما بالغار ذلك النسيج الخاص بالعنكبوت والحمامتان والشجرة. (١)

وغار ثور يقع فى جبل ثور الذى يقع على بعد خمسة كيلومترات جنوب مكة المكرمة، ويتسم بالمشقة فى الصعود، فهو على حد قول الدكتور أحمد شلبى: إن الصعود إلى غار ثور أشق وأصعب حيث فيه الكثير من المرتفعات، ويصعب أن يصل الإنسان إلى قمة من قمم ذلك الجبل ثم ينحدر بضع عشرات من الأمتار، ثم يصعد ثانية قمة أخرى من قمم الجبل ثم يعود للانحدار وهكذا عدة مرات، إلى أن يصل إلى القمة التى يقع بها الغار والذى اختبأ فيه رسولنا وصاحبه.

ويضيف الدكتور أحمد شلبى: وفى جبل حراء ليس هناك إلا غار واحد هو غار

(١) حياة محمد ﷺ - د، محمد حسين هيكى.

حراء، أما فى جبل ثور فهناك عديد من الغيران، وهذا ما جعل من الصعب البحث فى كل غار عن محمد وصاحبه لكثرتها وانتشارها هنا وهناك، وربما بحثت قريش فى غار ثم بحثت فى غار آخر، وثالث فوجدت الحيوانات والزواحف، ثم توقفت لكثرة الغيران وللإحساس بعدم جدوى البحث فيها.

ليس هذا فقط بل إن غار ثور فى موقعه كان يناسب حال الاختفاء كما يوجد فى سفحه سهل به بعض المراعى مما يتيح للمرافق للنبي وصاحبه أن يرعى غنم أبى بكر بعيداً عن ذلك الغار حتى يستطيع أن يصعد للغار ليلاً ليحمل ألبان الأغنام للرسول ﷺ وصاحبه.

وبخلاف ذلك فقد تحدث العديد من الجغرافيين عن هذا الجبل وما احتواه من غار أمين وما آل إليه الآن إذ أكدوا أن العمران بمكة المكرمة قد وصل إلى سفوحه الدنيا ففى طرفه الشمالى يقع حى الهجرة وعلى طرفه الجنوبى الغربى حى بطحاء وفى جنوبه الشرقى يقوم حى العوالى .. وهى الضاحية الجنوبية الجديدة لمكة المكرمة.